

مَنْ أَقصد: الكاهن أو عالم النفس؟

الأب رافائيل نويكا من أسكس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

سؤال: أرشدني رجاءً، إذا واجهت مشكلة، أعلي أن أقصد الكاهن أو المعالج النفسي؟
الأب رافائيل: أقول بالطبع يجب أن تذهب إلى كاهن. لكن، للأسف الشديد، أرى شيئاً ما في عالمنا، وهو يحدث في كثير من الأحيان أننا، نحن الكهنة، لا نجد الطريقة الأرثوذكسية لاستقبال الإنسان، والاستماع إليه، وفهمه، وإقامته.

كشخص قادم من الغرب، حيث غابت الكنيسة منذ ألف عام وأفلست الروحانية الغربية تماماً، فالقرن العشرون تسبب في إفلاسها الكامل الذي كان بالفعل داخلها منذ فترة طويلة. والآن، يتطلع المستنيرون من الغرب أكثر فأكثر نحو الأرثوذكسية. الأرثوذكسية التي أسيء فهمها بشكل سيئ في هذه الأراضي التي نشأت فيها حيث نحن معرضون لخطر أن نكون كاليهود الذين فقدوا التقليد الذي أعطي لهم. أنا أقول لك هذا بشكل محدد، لذا ليس من الضروري أن يحدث، لنطلب من الرب ليس أن يهب الذين من الغرب أن يجدوا الحقيقة وحسب، بل أن يضيف أيضاً إلى ثروات ميراثنا الموجود فعلاً.

لذلك، لدي انطباع بأن علم النفس هذا في الغرب [...] هو أيضاً نوع من رحمة الله، في عالم لم يعد فيه الله موجوداً والكنيسة الموجودة هي من صنع الإنسان، والكهنوت من صنع الإنسان، حتى أنه يمكننا الكلام عن "زيف"، لا أريد استخدام كلمة "pseudo" (زيف)، على الرغم من أنه ربما ينبغي ذلك. ما هو المعالج النفسي؟ هو من تذهب إليه وتترك كل أعبائك وتخبره بكل شيء، وأنت تعلم أنه لن يحكم عليك، ولأسباب مهنية لن يكشف سر اعترافك مبدئياً. أيها الآباء الكهنة! هذا هو التزامنا! يجب ألا نكون قادرين على الحلول مكان الطبيب النفسي وحسب، بل يجب أن نتخطى كل ما يتوقع منه أن يفعله للمنتفع (client). لماذا؟ لأن عندنا السر، عندنا الله الذي يمكن أن ننقله إلى الناس. أنا أقول لكم هذا، حتى نتقدم قليلاً فقط في سر الله، ومن ثم لا نعرف أي مدى قد نبلغ! لقد رأيت قيامة جماعية، عشرات العائلات التي أقيمت من الموت في الغرب، وكذلك هنا!

لذلك أقول بالطبع، تطلّعوا إلى الكاهن - لكن سامحوني أيها الإخوة الكهنة والرؤساء، يجب أن نعترف بهذا وهي الحقيقة: نحن سيئون للغاية، حتى أننا لم نعد نعرف دعوتنا، ما يترك الناس مرتبكين يلجؤون إلى حيث يجدون سبيلاً وإلى من يجدونه هناك. سأخبركم بهذا أيضاً: علم النفس، مما أعرفه، بدأ مع فرويد واستمر مع يونغ وتسبب في العديد من المشاكل للإنسان. لكن، مرة أخرى، إذا نظرتم إليه من وجهة نظر تاريخية، سترون أنه حتى هناك، يبحث الإنسان عن هويته الحقيقية؛ وهناك العديد من

علماء النفس الذين يكتشفون بعض الحقائق. ولكن إذا نظرتُم إليه عن كثب، سترون أن هذه الحقائق كانت الكنيسة تعرفها بالفعل قبلاً، ولكن ولعارنا، لا نعيش بحسب هذه الحقائق، ولم نعد نطبقها. أقول لعارنا إذ كما تعلمون، أعتقد أننا جميعًا شخص واحد، اعترافي هو اعترافكم، حياتي هي حياتكم، نحن جميعًا نتشارك في نفس المصير، وأود أن أدعوكم جميعًا، أن تكونوا كشخص واحد يتجدد بالروح. لا أقصد هذا لكي تحكموا أنتم أيها العلمانيون على الكهنة، ولكن لكي تصلوا من أجلنا أن يبيرنا الله، حتى نبيركم. أقصد هذا لإخوتي الكهنة، حتى نعرف أننا في حالة تدهور رهيب؛ لذلك، علينا أن نتعلم من اليسار ومن اليمين، من الآباء، ومن علم النفس، من عالم الصالحين كما من عالم الخطيئة، من جميع السبل. وبمعونة الله، يجب أن نفهم ونتغير، كما قيل في [سفر] الرؤيا لإحدى الكنائس: "فَأذْكَرُ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُثِبَ، وَاعْمَلِ الْأَعْمَالَ الْأُولَى، وَإِلَّا فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزْجِرُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ لَمْ تُثِبْ." (رؤيا ٥:٢).

Source: Fr. Raphael Noica (of Essex). "Should we go to a priest or to a psychologist?" Pemptousia. 11 December 2014. <https://pemptousia.com/2014/12/should-i-go-to-a-priest-or-to-a-psychologist/>